الدور القياديّ والانسانيّ للعباس بن علي (عليه السلام) في معركة الطف الخالدة عام ٦١هـ (دراسة تحليلية)

أ.م.د علي فرعون علوان
جامعة واسط/ كلية التربية الاساسية

الملخص:

لقد عانت الأسرة العلوية الطاهرة مطلع العقد السابع الهجري من تداعيات خطيرة جاءت نتيجة لالتزامها بمبادئ الدين الإسلامي، إذ رأت تلك الاسرة بقيادة سبط النبي المصطفى (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن الاسلام كدين ومبادئ وقيم لها أهميتها الكبيرة في تفاصيل حياة المسلمين بدأ ينهار أمام التوظيف السلبي له من قادة تبوؤا مراكز عليا لم يعطوها حقها، لذلك عزم الحسين على محاربة تلك التوجهات بما أتيح له ولأهل بيته من إمكانيات رغم بساطتها إلا انها اخذت طريقها حتى النهاية ، كان الحسين قائدا لتلك الأسرة، وأخيه الإمام العباس بن علي (عليه السلام) معاونا له وحاملا لرايته وملتزما بمبادئه ومضحيا براحته وبما يملك من قوة وشجاعة ووسامة فكان الطريق واحد والنتائج واحدة والقتل في النهاية نصيب الجميع بتفاصيل شجاعة مملوءة بالمبادئ النبيلة، شهدتها أرض كربلاء في عشرة أيام تجلت فيها معاني البطولة في أوضح صورها، أما العباس الذي كان قائدا وإنسانا رائعا فقد كانت له صولات وجولات في ميادين الحق والشجاعة والإيثار والوفاء توقفنا عندها في السطور التالية مستذكرين تلك البطولة بإجلال واعتزاز كبيرين.

المقدمة :

بين قلة النصوص وندرة المعلومة الصادقة المفيدة كان طريقنا للحديث عن العباس بن علي (عليه السلام) لا يخلو من الصعوبات، وعلى الرغم من ذلك استطعنا ان ندون ما بين الأوراق التالية بهمة رغم علوّها كانت تشعر بانها أقل من أن تترك في سفر الحياة، مدون أكاديمي ممنهج عن العباس بن علي.

إن الحديث عن العباس بصراحة ليس كأي حديث، اذ أن قمر بني هاشم ببساطة ليس كغيره، فالقلم في حضرة (أبي الفضل) ينتابه الخجل فتراه منعزلا في زحمة الأرواح المتعلقة بحب ذلك العلوي الشجاع، يجلس منفردا حائرا لا يدري ماذا يقول، أما الكلمات فمهما امتازت بالدقة والتصويب ومهما أعتلت مكانتها على منبر الحق، تبقى أقل من أن ترسم أمام المتلقي صورة لتلك الشخصية الرائعة. لذلك مهما كتبنا ومهما جادت أقلامنا بالأفضل من المعاني يبقى العباس، ذلك الشبل العلوي الأصيل، فوق مستوى الكتابة، بمواقفه ودوره الريادي وعظمة روحه المتوجة بإيمان فاض على الوجود حتى غدا قبلة للناس يقصدونه بألم ممزوج بالأمل جعل من كربلاء فرحٌ ونجاة،

بعد إن كانت كربٌ وبلاء، ومن هنا ظل العباس بنبله وشجاعته وفضائل ذاته الشريفة قمرا كما كان وهو على قيد الحياة، يطل على الأخرين ممن يروا في عظمة مبادئه أهلا للحب والاعتزاز.

في رحاب البطولة:

الرجال مواقف، ومواقف الرجال محطات جادت بالأدق والأعمق من الفعل المبني على المبدأ والالتزام ، كما هي أيضاً علامات أكثر إشراقاً في سفر الأيام ... سنوات عمر مضت لتبقى ذكراها عالقة في ذاكرة الأيام والسنين بمواقف ظلت متعاقدة مع الآتيات من ساعات الزمن وأيامه بما تركته من بصمات خالدة .

والعقد شريعة المتعاقدين فيه ومن خلاله يبقى فعل العظماء حاضراً في القلوب، تتعطر منه الأرواح المتعلقة بحب آل البيت في كل حين ووقت كما هي العقول، قدّرت واستوعبت نتائج الفعل بإعجاب وتقدير عظيمين.

أبو الفضل العباس، قمرُ بني هاشم، الشاب الوسيم الشجاع، نجلُ أمير المؤمنين، رجل الموقف المخلّد للحياة. قمر بني هاشم؛ لأنَّه كان الأجمل والأكثر وسامة من أي هاشمي عرفه التاريخ ، كان وجهه مشرقاً كأنه قطعة من القمر ، لذا سميَّ عليه السلام قمر الهاشمين(١)

أبو الفضل العباس، ملجأ المختلفين كما هو ملاذ للأحبة والصادقين، يقصده المرء عندما يختلف مع غيره ليلتقي الطرفان عند عظيم من آل أبي طالب، منحه الله من الكرامات ما يليق بشبلٍ علوي قدم وأجاد فأفلح وأفاد، فهو حكم، عادل، استمد عدله من عدل أبيه، كما استمد منه الشجاعة والإقدام والتضحية بكل شيء من أجل المبادئ والقيم .

أبو الفضل العباس، عنوان بارز، جميل، زاهي، للإيثار والتضحية بالنفس من أجل الأخوَّة التي بها ومن خلالها كتب العباس بحروف من دم طاهر ملحمة خلدها التاريخ. انها لحظات عمر قوَّضت ظهر الشرك والإلحاد ، وكسرت شوكة المتآمرين على مبادئ الإسلام من الداخل.

قدم العباس دمه قرباناً وظمأه وهو في جوف الماء هدية إلى سيده الحسين ليوصل رسالة للناس مفادها، بأن الأخوة حالة ليس أفضل منها إلا الفوز برضا الرحمن والظفر بالجنان .. وليس السلطان الزائل الذي تقاتل ويتقاتل عليه الأخوة منذ أن طعن قابيل أخاه وإلى يوم الناس هذا، فالإيثار عند العباس ، كما هو العلم عند أبن الحنفية ، والجود والإقدام عند الحسين ، والحلم وبعد النظر عند الحسن ، والمبادئ بكل معانيها وتفرعاتها عند أمير المؤمنين رجل التاريخ ، الوالد الذي أورث أبناءه إرثاً ما نضبَ ولن ينضب إلى يوم القيامة.

سطور من تاريخ كربلاء:

وقبل أن نتشرف سويةً بقراءة شيء من مفكرة العباس –عليه السلام– لا بد من الوقوف قليلاً للتعرف على تاريخ كربلاء المقدسة ، تلك البقعة التي ضَمَّت هذا الجسد الطاهر كل هذه السنين. فكربلاء مدينة قديمة يعود تاريخها إلى عصور حضارة العراق القديمة ، وكلمة كربلاء منحوتة من كلمتي (كور بابل) بمعنى مجموعة قرى بابلية ، ويرى اخرون ان لفظة كربلاء مركبة من الكلمتين الاشوريتين (كرب) اي حرم (وإيل) اي الله وتعني حرم الله(٢) ،أما ياقوت الحموي فيتحدث عن كربلاء قائلاً "الكربلة هي رخاوة القدمين ، يقال جاء يمشي مكربا ، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك ، ويقال كربلتُ الحنطة أي هذبتها ونقيتها ، وقد روي أن الحسين (عليه السلام) لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه ، ما تسمى هذه القرية ؟ وأشار إلى العقر ، فقيل له اسمها العقر ، فقال الحسين نعوذ بالله من العقر ، ثم قال ما اسم هذه الأرض فقيل له كربلاء فقال أرض كرب وبلاء" (٣) .

يقول الدكتور مصطفى جواد "رحمه الله" وقد نقل بعض الفضلاء قول أحد الباحثين في تاريخ كربلاء القديم وهو "كل ما يمكن أن يقال عن تاريخها القديم أنها كانت من أمهات مدن طسوج النهرين الواقعة على ضفاف بالأكوباس (الفرات القديم) وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة كما يستدل من الأسماء التي عرفت بها قديماً كعمورا، وماريا، وصفورا، وقد كثرت حولها المقابر، كما عثر على جثث موتى داخل أوان خزفية يعود تاريخها إلى ما قبل العهد المسيحي، وأما الأقوام التي سكنوها فكانوا يعولون على الزراعة لخصوبة تربتها وغزارة مائها لكثرة العيون التي كانت منتشرة في أرجائها"(٤).

وقد نعتت كربلاء منذ الصدر الأول في كل من التاريخ القديم والحديث بأسماء عديدة مختلفة ورد منها في الحديث اسم كربلاء . والغاضرية ونينوى وعمورا وشاطئ الفرات وشط الفرات وورد منها في الرواية والتاريخ أيضاً باسم ماريه، والنواوسي والطف وطف الفرات ومشهد الحسين، والحائر، والحير إلى غير ذلك من الأسماء المختلفة الكثيرة ، إلا أن أهم هذه الأسماء على المستوى العقائدي هو الحائر لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة والتقديس أو أنيط به من أعمال وأحكام في الرواية والفقه إلى يومنا هذا(٤).

وقد تم فتح كربلاء كجزء مهم من فتح العراق وفارس في صدر الإسلام وذلك أثناء خلافة الخليفة الراشدي الأول: أبي بكر الصديق (رض) (٥) .

وبعد ما يقارب الأربعة عقود من الزمن على الفتح الإسلامي ، شهدت أرض كربلاء أكبر تظاهرة للفداء والبطولة والتضحية من أجل المبادئ ، قادها سبط الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، الإمام المجاهد الحسين بن علي (عليه السلام) . يقول الدينوري نقلاً عن الإمام الحسين وهو يدخل كربلاء قبل المعركة قوله ، لقد مر أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه ، فوقف فسأل عنه ، فأخبر باسمه ، فقال (هاهنا محط ركابهم وهاهنا مهراق دمائهم) فسئل عن ذلك فقال (ثقل لآل بيت محمد ينزلون هاهنا) ، ثم يقول وأمر الحسين بأثقاله فحطت بذلك المكان يوم الأربعاء غرة محرم من سنة أحدى وستين ، وقتل بعد ذلك بعشرة أيام ، وكان قتله يوم عاشوراء [٦] .

وبعد استشهاد سيد الشهداء مع أخوته الأفاضل وأبناءه النبلاء وأصحابه وأنصاره الأفذاذ الأصلاء ارتبط اسم المدينة بضريح الحسين ، فالذي يقصد كربلاء يقصد زيارة قبر الحسين والذي يقدس ويحترم كربلاء فأنه يقدس ويحترم الحسين ، والذي يغزو كربلاء ، فأنه يقصد غزو قبر الحسين ، والذي يعمر ويبني ويجدد كربلاء فأنه أول ما يعمر ويبني ويطور ضريح الحسين ، فمدينة كربلاء هي مدينة الحسين ... ومنذ ذلك الزمن وبعد أن أخذ قبر الحسين مكانه على الأرض، بدأت كربلاء تعيش حياة جديدة ، بحلة جديدة فارتبط اسمها كما قلت باسم السبط الشهيد ، ومرت عليها عصور ودهور توافد عليها العشرات من الملوك والوزراء والأمراء بين معمر ومجدد وبانٍ وهكذا بدأت الأزمنة تحكي قصة حب هذه الأرض المعطاء لهذا الجسد الطاهر الشريف ، فجاء الناس وبنوا منازلهم ، وتوسعت المدينة ، ومرقد الحسين هو السبب ، ضريح طاهر فتح أبواب الحياة للناس ، مدينة تتوسع وطرق مواصلات تقام وتجارة تفتح أبواب الأرزاق لأناس قرروا مجاورة الإمام .

العباس بن علي (عليه السلام)

أولاً / حياته:

أ- اسمه ونسبه:

هو العباس بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القريشي[٧] وأمه ((أم البنين فاطمة بنت أبي المجل حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن (وأمها) ليلى بنت سهيل بن عامر بن مالك – وهو أبو ملاعب الأسنة- (وأمها) عمرة بنت الطفيل بن عامر (وأمها) كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب (وأمها) فاطمة بنت عبد شمس بن عبد

مناف)) [٨] يقول أبو نصر البخاري لم تخرج أم البنين إلى أحد قبل الإمام علي عليه السلام ولا بعده [٩].

ب- نشأته :

لقد تجاهلت وللأسف المصادر التاريخية العامة الحديث عن الإمام العباس بن علي(عليه السلام) ولم تذكر لنا إلا القليل جداً عنه، إذ جاء في بعض المصادر أنه كان مع أخيه الحسين وكان حاملاً لرايته ولقب بالسقّاء كونه جلب الماء للحسين وأهل بيته ، وكان شجاعاً جميلاً ، ثم استشهد وهو يدافع عن أخيه الحسين بعدما استشهد كل من كان معه، هذا أغلب وأهم ما كتب عنه، أما المصادر التي تسمى في عرف المختصين بدراسة التاريخ بـ(مصادر الشيعة) فهي التي ذكرت لنا مشكورةً شيئاً عن هذه الشخصية الرائعة . وبالرغم من كون هذه المصادر لا تخلو من الروايات المبالغ فيها شأنها شأن غيرها من المصادر، إلّا أننا اعتمدنا ما هو طبيعي ويتلاءم مع سير الحدث وعظمة هذا الرجل العلوي الشجاع ، رجل الإيثار الأول ، إذ لم يسبقه ولم يأتِ بعده من فضل الآخرين على نفسه في لحظة هو أحوج فيها إلى تفضيل الذات لإدامة الحياة، وتفعيل الجهد المبذول لتحقيق نتائج أفضل على مستوى الميدان ، لكنه لم يفعل هذا بل اختار طريق الخلود، ففضل الآخرين على ذاته. فالظمأ بالنسبة للعباس حالة تهون قياساً بموقف الرجال في لحظة التعامل مع المبادئ ذات التماس بإنسانية المرء وعظمة قيمه وأهدافه ، فالمعادلة التي طرفيها شبلين من أشبال علي يحرق فؤاديهما الظمأ هي أفضل لدى العباس من اختلالها بارتواء الأصغر وبقاء الأكبر. ذلك السيد الجليل، يعاني ظمأ سيقوده إلى الموت حتماً، وهذه هي شيم النبلاء. وبناءً على ما تقدم نستطيع القول بأن العباس(عليه السلام) كان واعياً جداً لمسألة إمام العصر، فقد أطاع إمام عصره طاعة فاقت التصورات بالشكل الذي جعله يفضله حتى على ذاته في لحظات الاختلاء بها، فمن كان سيلوم العباس عليه السلام لو أراد أن يشرب من ماء الفرات في تلك اللحظات التي دنا فيها من الماء، ينظر إلى أمواجه وهي تتراقص أمام عينيه كأنغام تسر الروح وتبعث في النفس العليلة أملاً، وليحس ببرودته مع نسمات الهواء وهي تلف روحه الطاهرة لفاً ، في لحظة افترش فيها العطش قلبه الطاهر قاذفاً بين جنباته خيوط من نار تحرق الأكباد . بالتأكيد لا أحد سيقدم على ذلك، لكن العباس اصر على أن لا يروي ظمأه حتى لو كانت الظروف قد هيأت له هذه الفرصة بسيف حصد الرؤوس وأطاح بأجساد الشر التي أوكل إليها بن زياد مهمة تعطيش الحسين ومن معه، ليجد نفسه بعد لحظات بطلعته البهية وسط هدير الأمواج؛ لأنَّ ما هو طبيعي لغير العباس لا

يكون بالضرورة طبيعياً للعباس، رجل المبادئ والقيم الشريفة. وعليه؛ فإنَّ رجلاً هذا فعله يستحق المجد ويستحق الخلود، والذكر الحسن ما دامت الشمس تشرق والحياة تدور.

يقول النسابة البخاري ، كان حياً (٣٤١ هـ) قال أمير المؤمنين –عليه السلام– لأخيه عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه –وهو أعلم قريش بالنسب– أطلب لي امرأة ولدتها شجعان العرب حتى تلد لي ولداً شجاعاً فوقع الاختيار على أم البنين الكلابية وولدت له العباس بن علي –عليه السلام– وأخوته[١٠].

ولد الإمام العباس (عليه السلام) يوم الرابع من شعبان سنة (٢٦ هـ) ومعنى العباس بالفتح وتشديد الباء هو الأسد الغاضب[١١] وقد كان في حروبه كذلك فعلاً. فكان اسماً على مسمى، ويُعَدُّ الإمام العباس في طليعة أبناء الإمام علي بعد الحسنين ، يمتاز بالأخلاق والفضل والأدب والعلم والشجاعة ، وكثير ما حضر مجالس أبيه وحروبه فهو قد نشأ في بيت الفضيلة والعلم فتجلت فيه هذه الصفات السامية التي اكتسبها منذ نعومة أظفاره [١٢].

ويعرف العباس بالعباس الأكبر ويلقب بالسقّاء، ويكنى أبا قربه، وكان يحمل الماء للحسين بكربلاء[١٣]، يقول الزبيري، (ت،٢٣٦هـ) والعباس بن علي ولده يسمونه السقاء، ويكنونه أبا قربة، شهد مع الحسين كربلاء، فعطش الحسين فأخذ قربة وأتبعه إخوته لأبيه وأمه بنو علي وهم عثمان وجعفر وعبد الله فقتل أخوته قبله، وجاء بالقربة يحملها الى الحسين مملوءة(١٤) العاملي مستنداً في بعض ما قاله علي الأصفهاني بمقاتل الطالبيين يتحدث عن الامام العباس قائلا "وعاش مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أربع عشرة سنة وحضر بعض الحروب فلم يأذن له أبوه في النزال وقتل مع أخيه الحسين عليه السلام وعمره أربع وثلاثون سنة ، ويكنى أبا الفضل ويلقب بالسقاء وقمر بني هاشم ، وقُتِل معه بكربلاء ثلاثة أخوة لأمه وأبيه وكانت له يوم كربلاء مقامات مشهورة ومواقف عظيمة وكانت له صفات عالية وأفعال أمتاز بها منها أنه كان أيداً ، شجاعاً فارساً ، وسيماً جسيماً يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان الأرض" [١٥] .

وللإمام علي عليه السلام ، كما يذكر النسابون ، من الذكور ثلاثة عشر ذكراً وهم الحسن والحسين وامهما فاطمة الزهراء البتول كريمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ومحمد الأكبر المعروف بأبن الحنفية ، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية ، وعمر وامه الصهباء ، والعباس وامه ام البنين ، وعثمان وجعفر وعبد الله وأمهم أم البنين كذلك ، وقتلوا جميعاً مع الحسين رضي الله تعالى عنهم ، ولا بقية لهم إلّا العباس فإنَّ له بقية [١٦]. وأبو بكر وعبيد الله ومحمد الأصغر، فضلاً عن يحيى وعون وأمهما أسماء بنت عميس

الخثعمية[١٧]. والظاهر أن الحسن والحسين عليهما السلام قد غطوا على ذكر أشقائهما وذلك لكونهما الأكبر سناً ولعظمتهما وأهميتهما لكونهما سبطي النبي المصطفى، ولدورهما الكبير في الحياة السياسية والاجتماعية منذ طفولتهما وحتى دورهما الكبير في معارك الجمل وصفين فضلاً عن دورهما العظيم في العقدين الخامس والسادس الهجريين، فالحسن الزكي، أبا محمد (عليه السلام)، كان خليفة للمسلمين طيلة ثمانية أشهر ثم كان له بعد ذلك دور عظيم في إنهاء حالة الصراع الدائر آنذاك لأسباب استدعتها ظروف المرحلة ومصلحة الدين والأمة، أما الحسين أبا عبد الله سيد الشهداء، فإنَّ دوره (عليه السلام) لا غبار عليه أبداً فهو صاحب أعظم ثورة شهدها العالم الإسلامي منذ فجر الإسلام، لهذا لم يتطرق المؤرخون بشيء من التفصيل إلى غير السبطين سوى محمد بن الحنفية وذلك أيضاً لدوره الكبير في معارك الجمل وصفين كونه كان حامل راية أبيه الإمام علي عليه السلام، ولدوره أيضاً في الحياة السياسية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.(١٨).

أما الإمام العباس عليه السلام؛ فتسلسله الرابع على أكثر الروايات بعد الحسن والحسين وابن الحنفية، وهو رجل الموقف الذي سجل بأيام ما لم يسجله غيره بعقود من الزمن، وله أسوة حسنة بجده الأعلى ، شقيق جده أبو طالب، ألا وهو عبد الله بن عبد المطلب ، ذلك الرجل الذي جاء إلى الحياة ليقوم بفعل واحد كبير وهو أن يكون أب لأعظم مخلوق وأجل إنسان عرفته البشرية في حياتها ، إنه الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . فعبد الله خُلِق ليكون أباً للحبيب المصطفى ثم يغادر الحياة عزيزاً مكرماً ، وكذلك العباس بن علي ، خُلِق ليكون ظهيراً عظيماً وسنداً متيناً لأخيه الحسين في معركة الطف ثم يغادر الحياة شهيداً عظيماً ، ورجلاً نبيلاً . لذا فأن نظرة سريعة لتاريخ الرجلين نستطيع من خلالها أن نوجد عدة عوامل للتشابه بينهما منها كما يذكر المؤرخون جمال الوجه ، فعبد الله رضي الله عنه كان جميلاً للغاية(١٩) ، وكذلك الإمام العباس ، فالطرفان من المشهورين بالحسن ، حسن الخلقة والأخلاق ، أما الشجاعة فبالرغم من كونها صفة تكاد أن تكون ملازمة للهاشميين بشكل عام ، إلا أن عبد الله والإمام العباس كانا مضرب الأمثال في الشجاعة. أما الدور في الحياة فكلاهما كان له دور عظيم ، فعبد الله تجسد دوره بأن يكون أباً لمحمد "خير الخلق أجمعين" وذلك بعد تجاوزه محنة الذبح إيفاءً بنذر أبيه عبد المطلب بعد أن فدي بمائة بعير ، وكذلك أبا الفضل العباس قد أدخره الإمام علي بعد أن رباه وعلّمه وهيأه ، ليكون أخاً حقيقياً للحسين وسنداً متيناً له في موقفه الحرج . إذاً ، فعبد الله أدى دوره وغادر الحياة مباشرةً عزيزاً مكرماً ، وترك محمداً يتيماً وحيداً ، يصارع الحياة ، ويغرس ، بمساندة

الشرفاء النبلاء في الأرض شجرة للحق والعدل والإنسانية ، وكذلك العباس بن علي أدى دوره في معركة الطف وغادر الحياة مباشرةً شهيداً عظيماً وترك الحسين وحيداً فريداً ، وهو يجابه الآلاف من جيش الباطل ، يدافع بيديه وبقلبه وبروحه الطاهرة عن تلك الشجرة التي زرعها جده ، ويسقيها بدمه الطهور كي يبقى ظلها وارفاً على مر الدهور والعصور ، إنها إرادة الله جل في علاه.

ج- دوره في معركة الطف:

كان للعباس بن علي دور عظيم جداً بمعركة الطف الخالدة ، فهو لم يكن مجرد مقاتل في جيش الحق، جيش الإمام الحسين، بل كان قائداً عظيماً فيه ، إذ كان ملازماً للإمام الحسين على طول الوقت، فقد كان للعباس أربعة وظائف رئيسية جاءت نتيجة لعمق علاقته بالإمام الحسين أولاً . ولأهميته الشخصية ثانياً لما يملكه من صفات قيادية على مستوى الميدان والفعل المباشر . فقد كان سفيراً لأخيه الحسين بينه وبين الآخرين من جيش عمر بن سعد، وعميداً لجيشه ومرافقاً للإمام، وحاجباً له فضلاً عن كونه السقاء والفارس الشجاع الذي كان حاملاً للواء[٢٠]، يقول أبو نصر البخاري (أعطى الإمام الحسين عليه السلام رايته يوم كربلاء إلى أخيه العباس)[٢١].

وهذه الوظائف ليست وليدة أيام المعركة بل هي ممتدة إلى اشهر مضت ، أي منذ اللحظات الأولى لاستدعاء الوليد بن عتبة والي المدينة آنذاك للإمام الحسين لغرض البيعة ليزيد ورفض الإمام لها ومغادرته إلى مكة ثم إلى العراق وحتى استشهاده يوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ . وفي اليوم الثامن من محرم وعندما اشتد العطش بأصحاب الحسين نتيجة لمنعهم من الماء إذ نفد الماء الذي كان بحوزتهم ، يقول الطبري "وعندما اشتد العطش بالحسين وأصحابه أمر أخاه العباس فسار في عشرين راجلاً يحملون القرب وثلاثين فارساً فجاءوا ليلاً حتى دنو من الماء وأمامهم نافع بن هلال البجلي يحمل اللواء وعندما منعهم أفراد جيش أبن زياد حمل عليهم الإمام ونافع حتى ملأوا القرب وجاءوا بالماء للحسين عليه السلام " [٢٢] . وفي ليلة العاشر من محرم جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه وحثهم على المغادرة كون القوم لا يطلبون غيره . يقول الطبريّ:" لما جمع الحسين عليه السلام أهل بيته وأصحابه ليلة العاشر من محرم وخطبهم فقال في خطبته: أما بعد ، فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيتٍ أبرُّ ولا أوصل من أهل بيتي، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فأنهم لا يريدون غيري" فقام إليه العباس فقال ولم نفعل ذلك، لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً [٢٣] .

يواصل الطبري الحديث عن موقف العباس عليه السلام قائلاً، لما أخذ عبد الله بن حزام، بن خال العباس عليه السلام، أماناً من بن زياد للعباس وأخوته من أمه قالوا لا حاجة لنا في الأمان، أمان الله خير من أمان ابن سمية، ولما نادى الشمر بن ذي الجوشن أين بنو أختنا ؟ أين العباس واخوته؟ فلم يجبه أحد، فقال لهم الحسين (عليه السلام) أجيبوه ولو كان فاسقاً، فإنَّه بعض اخوالكم، قال له العباس: ما تريد ؟ فقال أنتم يا بني أختي آمنون، فقال له العباس، لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له(٢٤)

وهنا تتجلى للعيان صفة أخرى عظيمة من صفات العباس –عليه السلام– ألا وهي تفهمه الكامل لطبيعة الظرف السياسي السائد آنذاك وطبيعة خداع الأراذل من دعاة الدهاء والمراوغة الذين أرادوا بدعوتهم للعباس فك الترابط القوي الوثيق للأسرة العلوية وذلك لغرض إحداث شرخ داخل صفوف الجمع المؤمن من أجل عزل الامام الحسين(عليه السلام) والتقليل من هيبته ومن ثم القضاء على الإمامة التي أعطت للحسين بُعداً وعمقاً روحياً كبيراً وأكسبته صفة شرعية لقيادة المسلمين . كل هذا كان من الممكن أن يتحقق لو أن العباس تعامل مع دعوة الشمر بطريقة العودة للعصبية القبلية وغياب الروح التي غذاها الإسلام بالقيم النبيلة والمبادئ الأصيلة .

يقول الدنيوري في الاخبار الطوال، ولما رأى العباس ذلك – يقصد اشتداد المعركة وتكالب الأعداء على الإمام – قال لأخوته عبد الله وجعفر وعثمان بن علي عليه السلام وأمهم جميعاً أم البنين العامرية من آل الوحيد "تقدموا بنفسي انتم فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه" ، فتقدموا جميعاً فصاروا أمام الحسين عليه السلام يقوونه بوجوههم ونحورهم حتى قُتِلوا ، "وبقي العباس بن علي قائماً أمام الحسين يقاتل دونه ، ويميل معه حيث مال حتى قُتِل رحمه الله "[٢٥]. ويشبّه السيد العاملي الإمام العباس بعمه الشهيد جعفر الطيار (عليهما السلام)، كون الأخير قد رزقه الله عوضاً عن يديه المقطوعتين في معركة مؤته بجناحين يطير بهما في الجنة قائلاً : وكذلك العباس قد قطعت يمينه ويساره في نصرة أخيه الحسين يوم عاشوراء وليس عظيماً على كرم الله تعالى أن يبدله عنهما بجناحين يطير بهما مع الملائكة كما ورد عن الامام زين العابدين (عليه السلام). أما اللحظات الحاسمة التي عاشها الإمام العباس قبل استشهاده فهي دليل على عظمته ونبله. رأى العباس وحدة أخيه الحسين بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته، قال لأخوته الثلاثة من أمه تقدموا لأحتسبكم عند الله تعالى فتقدموا حتى قتلوا فجاء إلى الحسين عليه السلام فاستأذنه في القتال فقال له الحسين أنت حامل لوائي، فقال لقد ضاق صدري، وسئمت الحياة، فقال له الحسين عليه السلام إن عزمت فاستقِ لنا ماءً. فاخذ قربته وحمل على القوم وأزاحهم عن النهر[٢٦]، يقول

المدرسي في كتابه العباس بطولة الروح وشجاعة السيف: "اندفع العباس باتجاه الشريعة على طريقة أبيه في الهجوم كأنه صاعقة من السماء تدمر كل ما في طريقها وهو يزمجر قائلاً :

أقسمتُ بالله العزيز الأعظم وبالحجون صادقاً وزمزم
وبالحطيم والفنى المحرّم ليخضبن اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذي الفخار الأقدم أمام أهل الفضل والتكرم

ثم يقول ، وكانت قوة اندفاعه قد حولته إلى كتلة من نار ، وكانت جرأته تلك قد قسمت جند العدو إلى سماطين فقد كانوا يهربون من بين يديه كأنهم المعزى إذا شد فيها الأسد الصهور حيث شق جيش بكامله كما يشق المحراث أديم الأرض [٢٧]. حتى تغلغل داخل الماء وهنا حدث ما لم يكن بالحسبان من وجهة نظر اعداء الحسين على الأقل، فالفرس قد اقتحم النهر حتى وصل الماء إلى فوق ركبتيه مما كان يتيح للعباس أن يمد يده بسهولة ويشرب منه وأن يملأ القربة ، وبالفعل فقد مد يده اليمنى بحركة عفوية نابعة من كبد حرّى إلى الماء الذي كان يجري في عذوبة ورقّة ، وملأها وقرّبها إلى فمه لكي يشرب ؛ امسك الأعداء أنفسهم ، قال أحدهم لصاحبه " أنظر إنه سيرتوي ويتقوى علينا " ، قال الثاني " منذ يومين لم يشرب الماء وها هو قد ملأ كفه الآن " [٢٨] ، ولكن العباس لم يفعل ما توقع الأعداء منه .. فعندما قرب الماء من فمه ومسته شفتاه وأحس ببرودته توقف عن كل شيء ، عن الحركة بشكل عام ، كانت لحظات عصيبة للغاية مر بها العباس، لقد ترآى أمام عينيه منظر الأطفال وهم يتراكضون من خيمة إلى خيمة لاهثين وهم يصرخون العطش ، العطش، وحينها صدرت من العباس حركة نادرة أذهلت الأعداء وجعلتهم في حيرة من أمرهم ، حركة لا يمكن أن تصدر إلا من أولياء الله الصالحين ، حيث رمى الرجل الماء على الماء وصاح وكأنه استيقظ من كابوس ، قائلاً :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أو تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين[٢٩]

تتحدث المصادر إن الإمام العباس عليه السلام اتجه نحو المخيم بعدما ملأ القربة ،وهي عنده أثمن من حياته والسبب هو رغبته بإيصال الماء للعيال وللعطاشى والتحم مع أعداء الإنسانية الذين أحاطوا به من كل جانب ليمنعوه من إيصال الماء، وهو يرتجز ويقول

لا أرهبُ الموت إذا الموت زَقا حتى أوارى في المصاليت لقا

نفسي لنفس المصطفى الطهر وقا إني أنا العباس أغدو بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقى(٣٠).

ثم تكالب عليه الجيش فضربه بن ورقاء عن شماله فقطعها، وأخر عن يمينه فقطعها بعد ان كمن له وراء نخلة ، وهو يقاتلهم تارة بيده اليمنى وتارة بيده اليسرى وهدفه ان يوصل الماء الى عطاشى آل محمد فلم يستطع عد إن وجه احدهم سهمه صوبها فمزقها، بعدها ظربه أحدهم على رأسه الشريف فخر صريعاً شهيداً عظيماً ، في أروع ملحمة وأنبل وأشرف موقف يقفه الرجال

وهنا لا بد أن تكون لنا وقفة لنقيّم الموقف ، فالعباس الذي لم يروِ ظمأه لإدامة عمله العسكري ، كان في أوج قوته وقدرته على الفعل والسبب هو حجم الإيمان الذي ملأ ذلك الصدر الشريف من جهة ، والشجاعة المتناهية التي كان يتمتع بها شبل أمير المؤمنين ، فالدخول إلى الماء هو بحد ذاته تحد كبير وفعل عسكري قل نظيره ، إذ كان هناك المئات من الفرسان والرجال كانت مهمتهم فقط الحيلولة دون وصول الحسين وجيشه إلى الماء ، لكن العباس استطاع أن يقهر خطط ابن زياد ومن لف لفه من الأراذل كعمر بن سعد وغيره فحصد الرؤوس الخاوية بسيفه حتى جعل القوم بين قتيل وجريح ومن فضل أن يترك الميدان لينجو بجلده . وهكذا استطاع العباس من حمل الماء ويأتي به مما حدا بالأعداء باستخدام أساليب رخيصة خوفاً من وصول الماء إلى الحسين ، لأن عملية وصول الماء تعني أن الحسين ومن معه سيرتوون وبالتالي سيكونون أكثر قدرة على المجابهة مما سيؤدي حتماً إلى تغيير ميزان المعركة لصالح الحسين رغم عدم وجود أي نسبة بين عدد الجيشين.

لذا استخدم عمر بن سعد باعتباره القائد الميداني للمعركة حيله العسكرية بأن جنّد من يقف للعباس خلف الأشجار المحيطة بالنهر لغرض الإطاحة به ، ثم توجيه الرماة لغرض ضرب القربة أو تمزيقها ، وبهذه الطريقة فقط، استطاع الأراذل من قتل الإمام العباس ، ذلك الشجاع الهمام .

والإمام العباس عليه السلام عاش كما أشرنا أربعة عشر عاماً من حياته مع أبيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد تواجد بمعارك الجمل وصفين وهو صبي ، إلا أن الإمام قد منعه من المساهمة الفعلية بالمعركتين وكأنه قد أدخره ليوم آخر ، وبالنظر لكون المصادر لم تذكر لنا شيئاً عن طفولته، إلا أننا ومن خلال استقراء النتائج العظيمة لحياته الشريفة نستطيع القول بأنه قد عاش طفولته تحت رعاية وعناية أبيه الإمام علي وتربى في حجره حتى أضحى شجاعاً ، فارساً، مقداماً، ويتصف الإمام العباس كأخوته بصفات رئيسة ثلاث من الصعوبة بمكان أن تجتمع سويةً إلا لمن هم على شاكلة الإمام علي وأبناءه وأحفاده والقلة القليلة من عظماء هذه الأمة، ومن أولى

صفاته هي العلم وقد توصلنا إلى وجود هذه الصفة لديه، من خلال كونه قد نشأ نشأة علمية، فالأبناء الذين يتربون في حجر معلم عظيم كالإمام علي لا بُدَّ أن يكونوا علماء أفاضل، ومن صفاته الأخرى هي الشجاعة وقد توصلنا إليها من خلال موقفه العظيم في معركة الطف الخالدة ومقاتلته برجولة وشجاعة قل نظيرها ، مستمدة من شجاعة أبيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصفته الثالثة هي الزهد في الدنيا ، وقد توصلنا إليها من خلال موقفه النبيل وتضحيته بأخوته ونفسه لأجل أخيه الإمام الحسين والتي هي بالنتيجة لأجل القيم والمبادئ التي يحملها العباس والحسين وأبيهما وجدهما ... فزهده في هذه الدنيا وتطليقه إياها كما طلقها أبوه وأخوته كلها كانت مؤثرات إيجابية ساعدته على القيام بفعله النبيل خلال معركة الطف الخالدة.

ثانياً/ مرقده الشريف:

بعد استشهاد الإمام العباس عليه السلام قرب نهر العلقمي وهو يحمل الماء للعيال ، بقي جثمانه الطاهر هناك فدفن لوحده ، وهكذا أصبح للإمام ضريحاً خاصاً به ومزاراً كبيراً منذ الأيام الأولى لاستشهاده وحتى اليوم .. وكل ما قيل عن مشهد الإمام الحسين من بناء وتعمير وصيانة فضلاً عن النهب والسرقة والغارات اللئيمة ، يشمل كذلك مشهد الإمام العباس في ذات الوقت ، وهكذا فالتزامن كان قائماً في كل شيء إلى اليوم ، لذا سنكتفي هنا بالحديث عن ساحة الصحن والروضة وبعض الخصوصيات ." تقع الروضة العباسية على بعد ٣٥٠ م من الجهة الشمالية الشرقية للروضة الحسينية وقد قيض الله سبحانه لتشييد هذه الروضة المطهرة أناساً أجزلوا البذل والسخاء المتواصلين ، وتولى تشييد صرح الروضة العباسية الشريفة كل من تولى تشييد الروضة الحسينية في الأدوار المتعاقبة من ملوك وسلاطين وأمراء ورجال إصلاح "[٣١] .

تبلغ المساحة الكلية للروضة العباسية بما فيها الصحن الشريف (٤.٣٧٠) أربعة آلاف وثلاثمائة وسبعون متراً مربعاً، وللصحن ثمانية أبواب وهي باب الإمام الحسن، باب الإمام الحسين، باب الإمام صاحب الزمان، باب الإمام موسى بن جعفر (عليهم السلام)، وهذه الأبواب جميعها في الجهة الغربية ، أما الجهة الشرقية ففيها بابين هما باب الإمام أمير المؤمنين وباب الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام ، أما في الجهة الجنوبية ففيها باب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتسمى حالياً بباب القبلة، وفي الجهة الشمالية باب تسمى باب الإمام محمد الجواد عليه السلام، وتقع في جوانب الصحن الشريف مجموعة من الغرف والأواوين، دفن فيها عبر التاريخ مجموعة من

العلماء، والسلاطين، والأمراء والوزراء، وكبار الشخصيات . تتوسط الصحن الروضة المقدسة ويعلوها قبة ذهبية ضخمة ذات هيبة ووقار نقشت في أسفلها الآيات القرآنية المطعمة بالمينا والذهب وفي أطراف القبة مئذنتان ضخمتان ، كما توجد هناك ساعة أثرية كبيرة دقاقة واقعة على مئذنة باب القبلة، وزينت جوانب الصحن بالفسيفساء والكاشي من الصنع القديم، ويعدُّ اليوم أثراً فنياً إسلامياً نفيساً.

أما الضريح الشريف؛ فهو مصنوع من الذهب الخالص والفضة، ويعدُّ من أبدع وأعظم الأضرحة الموجودة في العالم الإسلامي وقد استعمل في صناعته (٤٠٠) أربعمائة ألف مثقال من الفضة و (٨٠٠٠) ثمانية آلاف مثقال من الذهب ، وقد أستغرق العمل فيه مدة ثلاث سنوات ونصف وضع في مكانه فوق القبر الشريف سنة ١٣٨٥ – ١٩٦٥ م[٣٢]، وهو وسط قبة عظيمة مطلية بالذهب من الخارج، وبقطع المرايا التي يعجز الكلام عن وصفها من الداخل مكتوب عليها أسماء الأئمة المعصومين الاثني عشر، وتدلت منها ثريا كبيرة جداً عظيمة الحجم ، بديعة الشكل، وتحت هذا الضريح وبين ذرات ثرى كربلاء يرقد شبل أمير المؤمنين وقمر الهاشميين ، ذلك الفارس الشجاع، المجاهد وهو مقطوع الأيدي، محطم الرأس ، مخضب بالدماء.

وقد خصصت الحكومة العراقية منذ مطلع القرن الماضي وتأسيس المملكة العراقية، مبالغ طائلة جداً لصيانة وتعمير المشهد العباسي المطهر، وقد شملت أعمال الصيانة تجديد الصحن ، وتبليط أرضيته فضلاً عن أرضية الروضة المقدسة بالمرمر من الدرجة الأولى ، ونصب الثريات وتزيين الضريح بقطع الزجاج وتكثيف الإنارة ، والقيام بأعمال التدفئة والتبريد ، وفرش الروضة بالسجاد الأصلي فضلاً عن أعمال كثيرة أخرى، وبعد التغيير السياسيّ الذي حصل في التاسع من نيسان ٢٠٠٣م زاد الاهتمام بالمرقد الشريف من ناحية الاعمار والتطوير في البناء واللوازم الاخرى وما زال العمل جاريا في الروضة العباسية المطهرة حتى ساعة اعداد هذا البحث. فالاهتمام أصبح حالة دائمة ومستمرة. والمشهد المطهر يؤمه الزوار بأعداد كبيرة جداً تصل في بعض المناسبات إلى الملايين سواءً من داخل العراق أو من البلدان العربية والإسلامية الأخرى.

ثالثاً/ كراماته:

إنَّ الحديث عن كرامات الإمام العباس، حديث طويل ومتشعب، جميل الكلمات، عطر النتائج، زاهٍ بكل صوره وأشكاله. والكرامة في اللغة هي من التكريم، تظهر للأولياء والصالحين والعظماء من الذين أحبهم الله وأراد أن يخصهم بشيء يميزهم فيه عن غيرهم من العباد، والكرامة هي غير

المعجزة، إذ إنّ المعجزة تظهر للأنبياء فقط، وهي التي سميت سحراً من قبل الكافرين، وقد جاء التنويه عنها كثيراً في القرآن الكريم، إذ إنَّ حقيقة الأمر، هو أن المعجزة شيء والسحر شيء آخر، والطرفان متناقضان بناءً على تناقض مصدر كل من المعجزة والسحر، يقول أبن خلدون، الفرق بينهما هو كالفرق بين الخير والشر فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير، وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكأنهما على طرفي نقيض[٣٣].

فالكرامة إذاً مرتبطة بالعمل الصالح والتقوى ومقدار القرب من الله جل في علاه ، والقرب والبعد مبني على أساس عمق الإيمان وسمو الروح ، ، وصفاء القلب ، وطهارة البدن ، وحب الخير، بسم الله الرحمن الرحيم **(وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ)**(٣٤) إذاً فأساس المفاضلة بين الخلق هي التقوى (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**)(٣٥)، والتقوى عند أبي الفضل العباس كانت العمود الفقري لحياته ، ففيها جاهد وناضل ، وبها ضحى بدمه ومن خلالها قدم ما قدم من عرض رائع قل نظيره ، وقد جاء في الذكر الحكيم **(وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً)**(٣٦) وجهاد أبي الفضل العباس لا يمكن إنكاره أو تجاوزه ، وعليه فإن الله سبحانه وتعالى قد فضله واحبه كما أحبّ أباه من قبل ، فقد جاء في مروج الذهب بان العباس عم الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) ، سأل الرسول يوماً عندما شاهده يطيل النظر بوجه الإمام علي ، قائلاً ما لك يا رسول الله تطيل النظر بوجه الفتى فأجاب الرسول قائلاً والله يا عم إن الله يحبه أكثر مما أحبه أنا [٣٧] وبالرغم من كون الله يحب عباده جميعاً لأنه خالقهم إلا أن المصطفين منهم لهم منزلة خاصة ، وهكذا أصبح الرسول المصطفى حبيباً لله من دون أنبياءه وخلقه جميعاً ، أما حب الله للإمام أكثر من حب الرسول له نستطيع أن نستنتج منه مقدار حب الله للإمام (ع) وبناءاً على حب الله لأوليائه كرمهم بكرامات سواء في حياتهم أو بعد مماتهم .

والإمام العباس (عليه السلام) ومنذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، يسكن جسده الطاهر أرض كربلاء المقدسة ، وبالنظر للفاجعة المؤلمة التي أفضت إلى استشهاد الإمام العباس ، وبالنظر أيضاً لبطولاته وشجاعته ونبله وموقفه العظيم في معركة الطف ، فقد أحبه الناس وتعلقوا به وذرفوا عليه وعلى أخيه سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام من الدمع مالا يمكن حصره وتقديره أبداً .

والكرامات التي تحدث هنا أوهناك سواءً عند ضريح الإمام العباس –عليه السلام– أو عند أي ضريح آخر ، لا تحدث ولا تكون ولا تصبح حقيقة قائمة إلا بأمر الله جل شأنه ، بسم الله الرحمن الرحيم **(وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي)**[٣٨] .

إذاً؛ فالموضوع متعلق بإذن الله وإرادة الله وعظمته، والله جل شأنه يحب عباده المخلصين الذين يقصدهم الناس ، فيزورون أضرحتهم المقدسة ، لذلك يظهر لديهم من الكرامات ليزيد حب الناس لهم ، وليبين للناس أيضاً بأن عباده المخلصين لهم منزلة عظيمة لديه ، بسم الله الرحمن الرحيم (والسابقون السابقون ، أولئك المقربون)[٣٩] وهكذا يجعل الله من الأعمى الذي يأتي لزيارة ضريح الإمام العباس داعياً بان يعاد بصره بصيراً ، ويجعل من المقعد الذي يقصد ضريح الإمام علي –عليه السلام– داعياً بأن تعاد له حركته يجعله متحركاً طبيعياً ، وهكذا هو الحال في كل زمان ومكان وفي كل مرقد مقدس .

وبهذا تحولت هذه المراقد الطاهرة إلى بقع مقدسة لا تسمع فيها إلا ذكر الله ، والحمد لله ، والتضرع لله ، والبكاء من خشية الله ، أنها صور السمو والتقرب إلى الله بأرواح غمرها الإيمان في لحظات الحب ومحاولة التقرب إلى أجساد الصالحين بفيضٍ من رحمة الله ورضواناً وبركات .

وأهم ما يتميز به مرقد الإمام العباس –عليه السلام– عند عامة الناس في العراق ، هو أن هذا المرقد المقدس يقصده الناس عندما يحتدم بينهم الخلاف والتناقض سواءً على مستوى العشائر والمجاميع أو على مستوى الأفراد ، وذلك كون الطرف المعتدي ، سيلقى جزاءه بإذن الله عاجلاً كتعبير عن خطأه وقسمه بالإمام الجليل كاذباً (وهذا ما يسمى عند العامة شارة العباس) وما أنقله هنا هو ليس مجرد قول جاء به كما يتصور البعض الميل إلى الإمام والحب له فحسب ، وإنما هو قول مبني على وقائع وأحداث حدثت وتحدث يومياً وتفصيلياً على مدى الثلاثة عشر قرناً الماضية ، فعلى مستوى العشائر هناك ظاهرة تسمى (راية العباس) وراية العباس يرفعها الطرف المعتدى عليه بعد إجراء عملية الصلح بينه وبين الطرف المعتدي ، كتعبير عن التزام الطرفين بالبنود التي تم الاتفاق عليها والتي بموجبها انتهى الخلاف وحل الوفاق كدليل على صفاء جو العلاقة بينهما (والعباس هنا عليه السلام هو بمثابة الكفيل الروحي) لذا يلتزم الطرفان وخاصة الطرف المعتدى عليه بأن لا يغدر بالطرف الآخر ، والذي تسول له نفسه تجاوز هذا الاتفاق فأن العباس عليه السلام سيقف له بالمرصاد (ولكن بأمر الله جل شأنه).

ومن هنا نستطيع أن نستنتج مقدار عظمة هذا العلوي الشاب الجميل ، القمر الذي أبى إلا أن يظل منيراً حتى بعد مماته ، وتأثيره على النفوس ، فمجرد طرح أسمه على طاولة التفاوض، تصبح قدسية هذا الاسم وسيلة عظيمة لإحلال السلام والوئام ونبذ الخلاف والشقاق بين الناس، فأي دور أعظم من هذا ، وهكذا أراد الله جل في علاه أن يضع لأوليائه منزلة عظيمة وهم أجساد طاهرة

تحت الثرى ، وأرواح نقية صادقة فوق الثريا ، وان يجعلهم هداة للحق ، وهداة للعمل الصالح وهداة إلى طريق الإنسانية طريق الخير والمحبة والسلام .

وعلى مستوى الجماعات فعندما تحدث خلافات اجتماعية حول سرقات مثلاً أو اعتداءات وتقع الشبهات على شخص ما أو أكثر من شخص ضمن مجموعة معينة ، تأتي هذه المجموعة بالكامل لأداء القسم في الضريح المقدس، وبعد أداء القسم يتم الاستنتاج بان كل شيء اصبح واضحًا، فالمدان أما يتراجع وهو في الطريق، أو إذا أصر على القسم الكاذب فأنه سينال جزاءه سريعاً بأمر الله جل شأنه، وهكذا نرى باستمرار مجاميع من الناس تتوافد على ضريح الإمام راجيةً بأن يُظهِر الله الحق ويحسم موضوع الخلاف، وهذه كلها شواهد ووقائع لا تحتاج إلى توثيق ، فوثائقها الأيام، ومصادرها قلوب المؤمنين من محبي آل البيت الكرام.

يقول السيد المدرسي، كنت واقفاً عند مرقد العباس ... وكان ممتلئاً بالزائرين عندما حدثت جلجلة وبلبلة وساد التوتر المقام ... رأيت مجموعة مكونة من عشرة أشخاص تقريباً يمسكون برجل متهم وهو في أشد حالات الذعر والخوف ... قلت للواقف إلى جانبي، ما هذا ؟

أجابني " يبدو أن هناك حادثة قتل ، وأن ذلك الرجل الذي يمسكون به متهم بها ، وقد جاءوا به ليحلف بالعباس على براءته أو يعترف بالجريمة " ، يواصل المدرسي حديثه قائلاً : ثم تقدم أحد العاملين على خدمة ضريح الإمام العباس –عليه السلام– ليتلو أمام الحضور نص القسم والذي يعتبر بمثابة تلقين يردده الشخص الذي جاء للقسم بالعباس . فقال له قل " احلف بسيدي ومولاي أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بطل العلقمي وصاحب لواء الحسين الشهيد بكربلاء "، كان المتهم يكرر بصوت متقطع تلاوة النص كلمة فكلمة ، حتى وصل إلى القول:" أحلف بهذا العبد الصالح المطيع لله ورسوله إنني لم أقتل ولم أشارك في قتل فلان بن فلان " .. هنا توقف المتهم عن ذكر هذه الجملة وبقي صامتاً ... فكرر الخادم كلامه، ولكن الرجل تلعثم ولم يقل شيئاً ، فصرخ فيه أحدهم قائلاً: " ويلك أحلف " ولكنه رفض وتغير لونه، وهنا أخذه اصحابه يجرونه إلى خارج المقام الشريف وهم يصرخون:" أيها القاتل، العباس كشف جريمتك فاعترف بالحقيقة"، فقال الرجل بصوت ضعيف "اسمحوا لي فأنا قاتل صاحبكم" (٤٠).

هذه هي إذن واحدة من الروايات التي تعكس حضور العباس اليومي بحياة أحبابه من المسلمين، وربما يسأل سائل، بأن ظاهرة القسم، والمعروف عنها، والشائعة عند المسلمين هو القسم بكتاب الله، وهذا ما يحدث حتى على مستوى الأداء الوظيفي ، فنرى الشخص الذي تكلفه الجهة الأعلى منه بمهام وظيفية كبيرة، تخص المصلحة العامة ، تطلب منه أن يؤدي اليمين ، ليتأكد

الناس من مصداقيته على مستوى الفعل الميداني المستقبلي، وعلى مستوى العامة من الناس أيضاً فالخلاف يحسمه القسم بالقرآن، وعليه فلا داعي للذهاب إلى أي جهة أخرى لأداء اليمين، (فهل العباس أفضل من القرآن)، وهنا لا بد من القول بأن العملية ليست عملية مفاضلة ولا نريد أن ندخل في متاهات خلق القرآن ونختلف كما اختلف السلف الصالح ، فالقرآن كلام الله جل شأنه وهو دستور الحياة ومصدر تشريعاتها ، عظيم بكل حرف فيه وهو الذكر الذي نزله الله وحفظه وقدسه إلى يوم القيامة ، والعباس ولي صالح عظيم من أولياء الله ، بل من أصفياء أولياءه ورجل مجاهد جاهد من أجل إعلاء كلمة الله ، وكلاهما يعود إلى الله جل وتبارك في علاه مثلما نحن جميعاً منه مصدرنا وإليه رجوعنا فهو رب الجميع وإليه المصير ، لكن التجارب الشخصية للناس هي أكبر دليل وبرهان على صحة النتائج المترتبة على فعل القسم سواءً بالقرآن الكريم أو عند ضريح الإمام العباس –عليه السلام– فكثير من الذين يقسمون بالقرآن تنتهي بهم الحالة إلى خيانة القسم من خلال رداءة النتائج المترتبة على رداءة الفعل الذي أريد له من خلال القسم أن يكون أكثر نجاحاً من خلال صدقه ، فكثير من الناس يرتكب ذنباً كبيراً ثم يقسم بالقرآن تخلصاً من العقوبة الآنية ، لكنه لا يفكر بالعقوبة المؤجلة ، فعقوبة القسم بالقرآن ربما تكون مؤجلة شأنها شأن الكثير من تجاوزات الإنسان بشكل عام ، فكم من الناس من يعلم أن الزنا إثم يُعَاقب عليه لكنه يزني ، وكم من الناس يعلم علم اليقين أن السرقة إثم ، لكنه يسرق ، وكم من الناس من يعلم علم اليقين أن الخمر إثم ، لكنه يشرب الخمر ، كل هذا يحدث بسبب كون العقوبة مؤجلة ، على الأقل، من ناحية الحسم ، صحيح أن الزنا يولّد الفقر وهو جزء من العقوبة الآنية، إلّا أنَّ عقوبة الآخرة هي العقوبة المؤجلة لأي فعل على مستوى الميدان لا ينسجم مع مبادئ السماء، فالناس تعلم بأن الله سبحانه قد ادخر الجنة والنار كجزاء لمن عمل صالحاً وبالعكس ولهذا السبب نرى الناس يقسمون بالقرآن وهم على باطل، كما هو حال الكافرين يكفرون بالله ويشركون به ولكن الله جل شأنه لا يعاقبهم مباشرةً، بسم الله الرحمن الرحيم **(وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)**(٤١) وهذا كله واقع حال نعيشه يومياً وتفصيلياً ..

أما القسَم بالعباس (عليه السلام) وبإرادة الله سبحانه وتعالى؛ فإنَّ عقوبته عاجلة؛ لذا يتحاشاه الناس، ويترددون كثيراً قبل الإقدام عليه، والله وحده أعلم بخبايا الأمور.

وكرامات العباس عليه السلام متواترة لا تحصى ولا تعد والملايين التي تقطن العراق بلد الأنبياء والأولياء والصالحين، شاهد على كرامات هذا الشبل العلوي العظيم ، يقول النجفي أما قضاء الحاجات ونجاح الآمال فحدّث ولا حرج، وقد علم المسلمون أنه ما توسل إلى الله به متوسل

إلا وقضى حاجته ولا سأله بحرمته سائل إلا وتيسر عليه مطلوبه، فلذلك سمي باب الحوائج [٤٢]، ولغرض أن لا أنهي حديث الكرمات دون الإشارة إلى واحدة منها على الأقل مما رأيت وشاهدت على أرض الواقع ، قررت أن أروي لكم هذه الحكاية ، ففي إحدى زياراتي لكربلاء وبينما أنا متوجه لزيارة مرقد الإمام العباس بعد أن أديت زيارة مرقد سيد الشهداء الإمام الحسين (عليهما السلام) وجدت في الطريق رجلاً يمشي وهو متكئ على (عكازات) يبكي ويصيح بأعلى صوته (العباس شافاني) فوقفت وقلت له يا أخي المشافي هو الله ، فقل لي ماذا بك وكيف شفيت من مرضك فأجابني بأنه كان مقعد مصاب بشلل على أثر حادث وقع له وقد راجع العديد من الأطباء بالشكل الذي عجز الجميع فيه عن تقديم ما يجعله يتجاوز حالته الصحية السيئة، بل على العكس زادت حالته سوءاً، فيقول وأخيراً طرقت باب الحوائج الإمام أبي الفضل العباس (عليه السلام) وطلبت من الله بحضرته أن يراني بعين الرحمة فأن لي من الأطفال ما هم بحاجة إلى وجودي بينهم فليس لهم غيري، ثم يقول ، وبكيت كثيراً وتضرعت إلى الله كثيراً ، ثم عدت إلى البيت وما هي إلا أيام وبدأت أصابعي ثم أقدامي بالحركة وتبعتها سيقاني تدريجياً وها أنا اليوم أمامك أمشي على أقدامي بعد أن كنت مقعداً لا أستطيع الحركة ، وكل هذا بفضل الإمام العباس عليه السلام ، فقلت له صحيح ، إن الذي شافاك يا أخي هو الله جل شأنه ولكن إجابة دعوتك كانت لمنزلة الإمام العباس عند الله ، فالعباس رجل عظيم وله منزلة كبيرة عند الله جل شأنه بالشكل الذي منحه هذه الكرامات التي تليق به، ثم تمنيت له السلامة وتركته وانصرفت.

رابعاً/ أبناء العباس وأحفاده:

يؤكد المؤرخون أنَّ الإمام العباس عليه السلام هو واحد من أبناء الإمام علي الذين أعقبوا ، يقول ابن عتبة (والعقب من أمير المؤمنين –علي عليه السلام– بخمسة رجال الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس شهيد الطف وعمر الأطرف)[٤٣] وقد أختلف في العباس وأخيه عمر أيهما أكبر ، وكان أبن شهاب العكبري ، وأبو الحسن وابن خداع يرون أن عمر أكبر ، أما شيخ الشرف العبيدلي ، والبغدادي وابو الغنام العمري – يروون أن العباس اكبر ويقدمون ولده على ولد عمر ، وعقب العباس قليل أعقب من أبنه عبيد الله [٤٤] .

يقول أبو نصر البخاري ، تزوج عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب –عليه السلام– أربع عقائل وهن رقية بنت الحسن بن علي ، وأم علي بنت علي بن الحسين بن علي ، لم تلد له وأبنة المسور بن مخرمة الزبيري ، وأم أبيها بنت عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب ، والأخيرة

قد ولدت له إبنيه عبد الله والحسن ، عبد الله درج أما العدد والنسل فهو بالحسن بن عبيد الله ، والحسن بن عبيد الله له من الأبناء سبعة وهم [٤٥] :

١-**العباس:** وهو الكبير وكان خطيباً بليغاً، لم يُرَ هاشميٌ أخطب منه أبداً، وكان يسمى لسان آل أبي طالب ، يقول البخاري قال المأمون لما سمع بموته أسف الناس بعدك يا أبن العباس، ومشى في جنازته.

٢-**عبيد الله:** وكان عظيم القدر وقد ولاه المأمون مكة والمدينة.

٣-**محمد:** وكان من الزهاد والعباد.

٤-**عبد الله:** وكان راوياً للحديث، روى عن زيد بن علي والإمام جعفر الصادق.

٥-**الفضل:** وكان شديد البدن عظيم الشجاعة.

٦-**علي:** وكان من الفقهاء والأدباء الأجواد.

٧-**الحمزة** : والحمزة هذا كان شبيهاً إلى درجة عالية جداً بجده الإمام علي عليه السلام، ونتيجة لهذا الشبه، أصدر المأمون العباسي كتاباً بتوقيعه، يمنح بموجبه الحمزة بن الحسن مائة ألف درهم لشبهه بالإمام علي بن أبي طالب[٤٦].

ومن أولاد الحمزة (رضي الله عنه) علي، وعلي هذا يسمى علي بن حمزة الفقيه، وهو جد أبو يعلي الحمزة بن القاسم بن علي، والحمزة هذا كان شخصية ذات خصوصية إذ يسمى العباس الثاني، نسبة إلى جده العباس بن علي (عليهما السلام).

الهوامش:

١-الاصفهاني، ابو فرج على بن الحسين،(ت،٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، دار المرتضى، بيروت،٢٠٠٩م، ص٦٠

٢-الحسني، عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، ط٦، دار اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٢م، ص١٢٤

٣-ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) معجم البلدان ، مج٤ ، دار صادر ، بيروت ، ص٤٤٥ ، و(عليه السلام)في الأصل رضي الله عنه .

٤-الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم كربلاء ، دار التعارف بغداد ١٩٦٦ م ص ١٠ عن لغة العرب مج٥ ص١٧٨ .

٥-الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ج٣ ، تحقيقي محمد أبو الفضل ، دار العارف ، مصر ، حوادث سنة ١٢ هـ .

٦-الدينوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر والدكتور جمال الدين الشيال ، ص.٢٥٣

٧-ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ص٣٧ .

٨-أبي نصر البخاري ، النسابة سهل بن عبد الله بن داود ، (كان حياً سنة ٣٤١ هـ) ، سر السلة العلوية ، تقديم وتعليق محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٩٦٢ م ص١٨٨ .

٩- المصدر نفسه ،ص١٨٨

١٠- المصدر نفسه ص١٨٨

١١-الكليدار ،محمد حسن مصطفى، مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء،مطبعة ايران، ١٩٤٩م، ص٣٥، وايضا القريشي، باقر، العباس بن علي(عليه السلام) رائد الكرامة والفداء في الاسلام،ط٦، مطبعة ستارة، النجف الاشرف،٢٠١٢م،ص٢٧

١٢-الكليدار، المصدر السابق، ص ٣٥

١٣-البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ، (ت ٢٧٩ هـ) أنساب الأشراف ، ج٢ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ص ١٩٢ .

١٤- الزبيري، ابي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب،(ت،٢٣٦هـ) نسب قريش،ط٤، عني بنشره إ.ليفي بروفنيسال، دار المعارف، مصر،١٩٩٩م، ص٤٣

١٥-العاملي ، السيد محسن الأمين ،المجالس السنية ، ج٢ ، مطبعة النعمان ، النجف ١٩٦٧ م ص ١٢ .

١٦-البلاذري ، المصدر السابق ، ج٢ ص١٩٢

١٧- المصدر نفسه، ج٢،ص١٩٢

١٨- ينظر،إبن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عد الحميد المدائني،(ت،٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، مج١،مكتبة الحياة، بيروت، ص٢٠٢

١٩- ينظر، ابن هشام،عبد الملك الحميري، (ت،٢١٣هـ)، السيرة النبوية، مج١، المركز الثقافي اللبناني،٢٠٠٤م،ص١٦٧

٢٠-النجفي، عبد الواحد بن الشيخ أحمد ، بطل العلقمي ، ج٣ ، المطبعة العلمية في النجف الأشرف ، ١٣٧٤ هـ ، ص٣٦

٢١-أبو نصر البخاري ، المصدر السابق ، ص٨٨

٢٢-الطبري ، المصدر السابق ، ج٥ ص ٤١٩ . وفي الامامة والسياسة يقول إبن قتيبة، قال العباس ن على للحسين: يا ابا عبد الله، نحن على الحق نقاتل؟ قال نعم فركب فرسه، وحمل بعض اصحابه على الخيول ثم حمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا وسقوا، إبن قتيبة، عبد الله بن مسلم ، (ت، ٢٧٦هـ)، الامامة والسياسة، تحقيق الدكتور طه محمد الزيتي، دار الاندلس، النجف،ج٢،ص٦

٢٣-الطبري ، المصدر السابق،ج٥، ص٤١٩

٢٤- المصدر نفسه، ج٥،ص٤١٩

٢٥-الدينوري ، الاخبار الطوال، المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

٢٦-العاملي ، المصدر السابق ص١٤ ، وانظر حديث الجناحين في باب مناقب جعفر الطيار ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، بيروت ، ص٩٦ .

٢٧-المدرسي ، هادي ، العباس ، بطولة الروح وشجاعة السيف ، دار البقيع للطباعة والنشر ، طهران ١٩٩٨ ، ٤٣-٤٦ .

٢٨- المصدر نفسه ، ص٤٤.

٢٩- المقرم ، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين(عليه السلام)، تقديم محمد حسين المقرم، منشورات الشريف الرضي، ط ٤، ايران،قم، ١٤١٤هـ ، ص ٣٣٦.

٣٠- المازندراني، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي المعروف بإبن شهر أشوب،(ت،٥٨٨هـ)، مناقب أل أبي طالب،ج٤،ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م، ص١٠٨ .

٣١-النويني، محمد، أضواء على معالم محافظة كربلاء، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧١ م ص ٤٤

٣٢- المصدر نفسه ص ١٤٦ .

٣٣-ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، (ت ٨٠٨ هـ) المقدمة (الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر) تحقيق خليل شحاذه ، دار الفكر ، بيروت ص٦٦٣ .

٣٤- الأنفال: من الاية ٣٤

٣٥- الحجرات: من الآية ١٣

٣٦- النساء: من الآية ٩٥

٣٧-المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٢٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٣ ص٣.

٣٨- المائدة: من الآية١١٠

٣٩-(الواقعة : الآية ١٠ – ١١) .

٤٠-المدرسي ، المصدر السابق ، ص١٥ .

٤١- ابراهيم: الاية ٤٢

٤٢-النجفي ، المصدر السابق ، ج٣ ص٤٢٥

٤٣-ابن عنبه ، النسابة جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٢٨ هـ) عدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ط٢ عني بترتيبه، محمد حسن آل الطلقاني، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، دون تاريخ ،ص٦٤

٤٤- المصدر نفسه،ص٦٤

٤٥-انظر ، أبو نصر البخاري ، المصدر السابق ، ص٩٠

٤٦- المصدر نفسه، ص٩٠

Leadership and human Abbas bin Ali role (peace be upon him) In the eternal battle tuff year 61 AH An analytical study

Dr. Ali Alwan Pharaoh
Wasit University- College of Basic Education

Abstract:

Alawite family Immaculate has suffered early seventh decade AH serious repercussions came as a result of its commitment to the principles of the Islamic religion, as those family felt led grandson of the Prophet Mustafa (peace be upon him and his family and him) Imam Hussein bin Ali bin Abi Talib (peace be upon him) that Islam as a religion and principles and the values of its large importance in the details of the lives of Muslims began Anharomam negative hiring him by the leaders of Tbaa graduate Centers did not give it right, so Hussein's determination to combat these trends, including made available to him and his family from potential despite its simplicity, but it took way until the end, Hussein was a leader of that family, and his brother Imam Abbas ibn Ali (peace be upon him) associate him and holding a banner and committed to its principles and sacrificing Braanh and what has the strength, courage and Osama was the way one results and one murder in the end share everyone's courage details filled with noble principles, witnessed the land of Karbala in ten days reflected the the meanings of the tournament in clearer images, but Abbas, who was a leader and a wonderful human being was his receipts and tours in the fields of the right and the courage and selflessness and fulfillment we left off in the following lines recalling the tournament with great reverence and pride.